

وقد أخذ الكسائي عن البصريين وعلى رأسهم الخليل ثم طور طريقة خاصة به، ثم اتخذت مدرسة الكوفة طابعها النهائي على يد الفراء (- ٢٠٧ هـ) الذي قرأ بالبصرة على يونس بن حبيب ثم على الرؤاسي ثم لازم الكسائي وصنف «معاني القرآن» الذي قال فيه مادحه «لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه»^(١).

أ - نشأة الخلاف بين المدرستين: البصرة والكوفة:

أول خلاف بين المدرستين ما أثبتته سيبويه في الكتاب من حكاية أقوال الكوفي (أبي جعفر الرؤاسي) ويعتبر ذلك نوعاً من المذاكرة وإيراد الأقوال المخالفة والرد عليها، وكثيراً ما يورد سيبويه لشيخه: الخليل ويونس أقوالاً يخالفها بقوله: «... وزعم الخليل»، «... وزعم يونس».

وقد بدأت الخلافات والمناظرات بين أصحاب المدرستين هادئة وبخاصة بين تلامذة الخليل كسيبويه والرؤاسي، ولم يكن الهدف من وراء ذلك عرضاً زائلاً أو الانتصار لدافع عصبي وسياسي، وإنما لخدمة العلم والتسابق في تجليته، ثم اشتدت الخلافات واتخذت طابع الغلبة والعصبية، ومما زاد في اشتدادها سياسة العباسيين بتقريب الكسائي وتلاميذه وإيثارهم بتربية أولادهم واغداق الأموال عليهم! إذ كان أهل الكوفة مخلصين لهم.

وبما أن البصريين يفوقون الكوفيين علماً فقد اجتهد الكوفيون في التمسك بما نالوه من حظوة، ووقفوا بالمرصاد ليحولوا بينهم وبين النجاح المادي أو المعنوي، وإذا كان لبصرى كالأصمعي حظوة عند خليفة ولم يستطيعوا أبعاده مادياً، عملوا على انتقاصه والغض من علمه.

ويذكر حادثة واحدة حصلت في حضرة الرشيد بين الكسائي واليزيدي نعلم إلى أي مدى وصلت إليه الخلافات بين أصحاب المدرستين:

(١) ابن النديم: الفهرست ٩٦.